العطلة الاسبوعية

في الدولة العباسية

١ — تمهيد : (السبت والأحد والجمعة)

لعلّ أوّل نبأٍ سمعه الإنسان بشأن العطلة والراحة بعد العمل ؛ ما جاء في التوراة ، وهذا هو بحرفه الواحد : [ورأى اللهُ جميعَ ما صَنعهُ فإذا هو حسنٌ جداً ، وكان مَساءٌ وكان صباحٌ يومٌ سادسٌ . فأُكملتِ السماواتُ والأرضُ وجميعُ جيشها . وفرَغَ اللهُ في اليومِ السابعِ مِن عَملهِ الذي عَملَ واستراحَ في اليومِ السابعِ من جميعِ عَملهِ الذى عَملَ . وباركَ اللهُ اليومَ السابعَ وقدّسهُ لأنه فيه استراح مِن جميعِ عَمله الذي خَلقهُ اللهُ ليصنعهُ] : (سفر التكوين : ١:٣١ — ٣٢ و٢:١ — ٣) .

وقد درج الإنسان في راحتهِ الأسبوعية على هذه السبيل ، إلا أن أيامه الأولى لا يُعلم مِن أمرها شيءٌ واضح المعالم .

وليس غرضنا الخوض فيما كان يصنعه أصحاب الأديان غير السماوية بهذا الشأن ؛ وانما سنشير الى ما عمله اليهود والنصارى والمسلمون على وجه الاختصار .

فقد اتخذ بنو اسرائيل السبت ؛ إذْ جمعوا فيه الصلاة والعبادة والراحة والبطالة ، ولفظة (سبت) معرّبة عن اللغة العبرية ، ومعناها (راحة) . ويرجح انه كان يُطلب من الإنسان منذ البدء تخصيص سبع وقته على الأقلّ لخدمة خالقه ، وفي العهد القديم كانوا يعتبرون تقديس هذا اليوم مِن الواجبات الرئيسة ، ولم يكن عند اليهود خطيّةٌ أعظم مِن عدم حفظ السبت إلا عبادة الأوثان . وفي سفر الخروج (٢٠:٨ — ١١) : [أُذْكرْ يومَ السبتِ لتقدّسهُ] ، [في ستةِ أيامٍ تَعملُ وتَصنعُ جميعَ أعمالكَ] ، [واليومُ السابعُ سبتٌ للربِّ إلهك لا تَصنعْ فيهِ عملاً لكَ أنتَ وابنكَ وابنتك وعبدُكَ وأمتكَ وبهيمتكَ ونزيلكَ الذي في داخلِ أبوابكَ ، [لأنّ الربَّ في ستةِ أيامٍ خلقَ السماواتِ والأرضَ والبحرَ وجميعَ ما فيها وفي اليومِ السابعِ استراحَ ولذلك باركَ الربُّ يومَ السبتِ وقدّسه] .

أما النصارى [فمنذ قيامة المسيح اتخذوا يوم الربّ سبتاً لهم ، ويُعرف بسبت

المسيحيين ؛ تمييزاً له عن يوم الشمس عند الوثنيين ، وهو يوم الأحد عند العرَب ، والسبت عند اليهود وكان ملوك المسيحيين يستعملون ليوم الأحد لفظة يوم الربّ ، أو يوم الشمس بحسب الاشخاص المخاطَبين ؛ أي بالنظر الى كونهم مسيحيين او وثنيين. وفي رؤيا [القديس] يوحنا (١ : ١٠) : [وَصِرْتُ في الرّوح يومَ الربِّ فسمعت خلفي صوْتًا عظيماً كصوْت بوقٍ]. وقد كانت لفظة يوم الربّ عظيمة الإعتبار في أيام الرسل المسيحيين الأوّلين ، وكثيرة الشيوع بينهم ؛ غير انهم استبدلوا بهـا بعدئذٍ لفظة يوم الشمس ، لموافقة التسمية الجارية بين الأمم الذين كانوا حواليهم].

قال جستينوس الشهيد : [نجتمع سوية يوم الأحد لأنه هو اليوم الأول الذي فيه غير الله الظلمة الى نور والعدم الى الوجود وابتدع العالم] . وشهد اثناسيوس [ان الله قد غير السبت الى يوم الرّب][1]

وظهر الإسلام ؛ فاتخذ المسلمون يوم الجمعة يوم صلاة وعبادة ، وهو اكرم أيام الاسبوع عندهم . وفيه فرضت الصلاة جماعة في وقت الظهر : [يا أيها الذين آمنوا إذَا نُودِيَ لِلصلاةِ مِنْ يَوْمِ الجمعةِ فاسعوْا إلى ذِكرِ اللهِ وَذَروا البيعَ ذَلكم خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمونَ . فإذا قضيتِ الصلاةُ فانتشروا في الأرْضِ وابتغوا مِنْ فضلِ اللهِ واذكروا اللهَ كثيراً لعلكم تفلحونَ . وإذا رأوْا تجارَةً أوْ لهواً انفضوا إليها وتركوكَ قائماً قلْ ما عندَ اللهِ خيرٌ منَ اللهوِ ومنَ التجارَةِ واللهُ خيرُ الرّازقينَ] : (سورة الجمعة ٦٢ : ٩ — ١١) .

٢ — غلق الدواوين في يومَيْ الجمعة والثلاثاء :

كان الرسمُ جارياً منذ صدر الإسلام على غلق الدواوين وقطع الأعمال يوم الجمعة ، لينصرف فيه الناس الى الصلاة جماعة ؛ فكانوا يقضون اكثر النهار في المساجد للصلاة ولسماع الوعظ ، وبقيت الحال على هذا الوجه حتى جاء المعتضد بالله الخليفة العباسيّ (٢٧٩— ٢٨٩ هـ) فأضاف يوماً آخر يتوسط جمعة وأُخرى ؛ وهو الثلاثاء ،

(١) قاموس الكتاب المقدّس للدكتور جورج بوست (١ : ٤٧٠ — ٤٧١ ؛ مادة [يوم الرب] ، و ١ : ٥٣٧ — ٥٤١ ؛ مادة « سبت »)

حيث تغلق فيه الدواوين، ويكون يوم راحة ولهو. ومما حدثتنا به بعض التاريخية أنه [أمر عبيد الله بن سليمان وبدراً [المعتضدي] بأن لا يحضرا ولا أحد من القواد والأولياء الدّار [دار الخلافة] في يومي الجمعة والثلثاء ، لحاجة الناس في وسط الاسبوع الى الراحة والنظر في أمورهم والتشاغل بما يخصهم ، ولأنّ يوم الجمعة يوم صلاة ؛ وكان يحبه لأن مؤدّبه كان يصرفه فيه عن مكتبه . وتقدّم الى عبيد الله بأن يجلس في يوم الجمعة للمظالم[1] العامة ، والى بدر بأن يجلس لمظالم الخاصة ، ومنع من أن يفتح في هذين اليومين ديوان ، أو يخرج شيء الى مجلس التفرقة على الجيش خاصة ...[2]] .

وكان عمال الدواوين يجتمعون في يوم الثلاثاء في دورهم ، او يقصدون البساتين ، فيقضون عامة نهارهم في الأنس ؛ وكثيراً ما كانوا يتذاكرون في شؤون وظائفهم . فمن ذلك ما حكاه هلال بن المحسن الصابئ (المتوفىّ سنة ٤٤٨ ﻫ) في عرض كلامه على أخبار الوزير أبي الحسن عليّ بن عيسى المنثورة ، فنبه الى عطلة الثلاثاء . قال : [حدّث أبو علي عبد الرحمن بن عيسى ، قال : كان محمد بن جعفر العبرتاي من عمال أبي الحسن بن الفرات وخواصه ، وكان يعامل أخي أبا الحسن عليّ بن عيسى فيما ضمنه من طساسيج طريق خراسان الجارية في الخاصة ، ... فحضر عنده في بعض الأيام

(١) راجع بشأن الجلوس للمظالم :

البلدان لليعقوبي (ص ٢٦١ ؛ ليدن) ، تاريخ الرسل والملوك للطبري (٣:١٧٨٨ ، حوادث سنة ٢٥٦ ﻫ ؛ طبع أوربة) ، صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي (ص ٧١ ؛ ليدن) ، ملحق الولاة والقضاة للكندي (ص ٥٧٧) ، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء لهلال بن المحسن الصابئ (ص ٢٢ ، ٦٦ طبعة آمدروز) ، الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٤٣ ، طبعة أنجر) ، الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ص ٥٨ — ٧٤ ، بتحقيق محمد حامد الفقي) ، المنتظم لابن الجوزي (٦:١٤٨ ، طبع حيدر آباد) ، المغرب لابن سعيد (ص ٣٩) ، رحلة ابن بطوطة (١:٨٩ ، طبع باريس) خطط المقريزي (٣ : ٣٣٦ - ٣٣٩ ، مطبعة النيل) ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لمتز (١:٣٨٣ — ٣٨٥ ، الترجمة العربية) .

(٢) تحفة الامراء (ص ٢٢)

وكان يوم ثلثاء وأخي خالٍ من العمل ، وجرى ذكر البلدان .[1]]

وشاع أمر عطلة الثلاثاء بين الناس وسرت من خاصتهم الى عامتهم ، فأضحى يوماً مخصصاً للبطالةِ واللهو والقصف والغناء ، وملتقى العشاق وشرب الصبوح والغبوق ، فكان من العار على المرء أن يبقى في داره بعيداً عن الأنس واللهو والشراب .

وأصدق شاهد على ذلك ما كتبه ابو محمد الحسن بن احمد البروجردي الى صديق له:

يوم الثلاثاء للسرور فلا تكن　　عنه بغير السرور مشتغلا
والدهر في غفلة وعيشك لا　　يطيب إلا والدّهر قد غفلا
عجل وبادر بدار مغتنم　　فالدست والله لامرئ عجلا[2]

ولأبي محمد عبد الله بن اسماعيل الميكالي رئيس نيسابور أبيات قالها على لسان كاتبه ابي الطيب ، فيها إشارة الى يوم الثلاثاء :

يوم دجن قد تناهى طيبه　　وحقيق ان يجينا بالمطر
والثلثاء ينادي غدوة　　ما للهو بعد هذا منتظر
هل يجوز الصحو في أثنائه　　إن هذا الرأي من إحدى الكبر[3]

ومن طريف المرويات في هذا الباب ، ما أنشده ابو سعد عبد الرحمن بن محمد بن دوست:

يغيب البدر يوماً ثم يبدو　　فما لك غبت عن عيني ثلاثا
فان لم تطلع الاثنين عصراً　　فلست بواجدي يوم الثلاثاء[4]

ويستدل من هذا ، أن القوم كانوا يتهيأون للثلاثاء من عصر الاثنين ، فيستحضرون ما لذّ وطاب من الطعام والشراب ، ولم يكن يفوتهم اصطحاب آلة الطرب وغيرها من متممات أسباب السرور ؛ فيتركون بغداد صاعدين بدجلة في شذاءاتهم ، أو سميرياتهم ، أو طياراتهم ، او نحوها من وسائل النقل النهرية يومذاك ؛ قاصدين قطربُّل ، أو القُفص ، أو أوانا ، أو غيرها من مواطن القصف والتيه ، او منحدرين الى بعض الديارات بجوار المدائن ، فيبيتون في إنعم حال ، ويقضون عامة يوم الثلاثاء ، فاذا دنا مساؤه قفلوا راجعين .

(١) تحفة الامراء (ص ٣١٨)　(٢) يتيمة الدهر للثعالبي (٤: ٣٦٤ ، طبعة الصاوي بمصر)
(٣) يتيمة الدهر (٤: ٣٨٢)　(٤) يتيمة الدهر (٤ : ٣٩٠)

وكان من جميل الاتفاقات ، ان وقع النيروز في إحدى السنين يوم الثلاثاء ؛ وأصبحت المسرّة بذلك مسرّتين ، فكتب ابن الرومي لعبيد الله بن عبد الله يهنئه :

يوم الثلاثاء ما يوم الثلاثاء — في ذروة من ذرى الأيام علياء
كأنما هو في الاسبوع واسطة — في سمط دُرّ يحلي جيد حسناء
ما طبق الله نيروز الأمير به — إلا لتلقاه فيه كلّ سراء
لا سيما في ربيع ممرع غدق — ما انفك يتبع أنواء بأنواء
لم يبقَ للأرض من سر تكاتمه — إلا وقد أظهرته بعد اخفاء
أبدت طرائف شتى من زواهرها — حمراء وصفراء ، وكل نبت غبراء[1]

وقد تطرّق الى عطلة الثلاثاء والجمعة العلامة المستشرق متز ، فذكر انه (في عهد المقتدر كانت تُغلق الدواوين في دار الخلافة يومَيْ الجمعة والثلاثاء . وقد أمر المقتدر ٢٧٩ — ٢٨٩ هـ = ٨٩٢ — ٩٠٢ م بذلك (لأن يوم الجمعة يوم صلاة ، وكان يحبه ، لأن مؤدبه كان يصرفه فيه عن مكتبه ؛ ولأن الناس يحتاجون في وسط الاسبوع الى الراحة والنظر في أمورهم والتشاغل بما يخصهم)[2]

ولكن في كلام متز المنقول أعلاه ما يستوجب التأمل والنظر . فان المقتدر بالله وُلد في سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، فمن المحال ان يكون هذا التغيير قد صدر عن أمره .

والصواب ان ذاك الخليفة هو المعتضد بالله وليس المقتدر . ومن المعروف ان المعتضد بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه المعتمد على الله عمه — وهو يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين . وكانت وفاته يوم الاحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين . وهذا التاريخ أي (٢٧٩ — ٢٨٩ هـ) يتفق وما جاء به متز

٣ — يوم الثلاثاء : يوم عطلة مدرسية :

كان الأولاد يتمتعون بعطلة الثلاثاء — فضلاً عن تمتعهم بالجمعة أيضاً — كما يتمتع

---

(١) ديوان ابن الرومي (٢ : ٢٧١ - ٢٧٢ ، باعتناء كامل كيلاني)

(٢) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (١ : ١٦٣ ، الترجمة العربية) ، ومابين القوسين ( ) نقله متز عن كتاب تحفة الامراء لهلال الصابئ (ص ٢٢) .

بها آباؤهم . ومصداق ذلك ما أنشده عبد الله بن المعتز :

بالله يا ابن عليٍّ فضّ جمعهم واعفِ نفسك من غيظ وضوضاء
لا تجعلون الثلاثا لاجتماعكم إن الكتاتيب تخلو في الثلاثاء(١)

والظاهر ان الحالة تبدلت بعد المائة الرابعة للهجرة ؛ فأصبحت عطلة اولاد المدارس يوم الخميس بدلاً من الثلاثاء ، وقد أشار الى ذلك ابو الحجاج يوسف بن محمد البلويّ (المتوفى سنة ٥٧٦ ، وقيل بعد سنة ٦٠٠ هـ) بقوله :

خرجت من اللغات فطاب عيشي وجاء الفكر بالدرّ النفيس
وافرح حين آخذ في سواها كما فرح المؤدب بالخميس
ولكن بدّ يحضر يوم سبت فيعبس فيه اكثر من عبوسي
اذا ما قلت لي فسر حروفاً فتلجيني الى حرب البسوس(٢)

٤ — يوم الثلاثاء : يوم لهو في بعض البلدان الإسلامية :

لم تختصّ بغداد بعطلة يوم الثلاثاء فحسب ، بل تعدّى الرسم الى بلدان اسلامية أخرى ؛ ومنها دمشق ، فكان الناس يقصدون ربوتها في هذا اليوم ، وأحياناً في أيام أخرى معلومة . قال ابن طولون : (وكانت هذه الربوة في اول الزمان تقصد بالزيارة ثم تغير أمرها ، وصار يقع بها المناكر ، وتقصدها الناس يوم السبت والثلاثاء دائماً ، وبعض الناس يوم الأحد والاربعاء ، ويقال لهما المحفل ، تطلع اليها فيهما الحلقية والمشعبذون والخايلية والحكوية ؛ وهذا في أيام الصيف ، وأما الشتاء فلها ناس تسمى المجاورين ...(٣)) وكان الغلمان والجواري والنساء تتخطر (في أملح زيّ وأفتنه . ولذلك لما ولي الامير سيف الدين الحنبلي اقتمر الصاحبي نيابة دمشق سنة ٧٧٨ هـ (١٣٧٦ م) ، باشرها شهرين وعشرين يوماً ، فأزال الفساد ، وانكر المنكر ، وأمر الناس بفتح الأسواق يوم السبت والثلاثاء(٤)) .

(١) ديوان ابن المعتز (ص ١٨٠ ـ ١٨١ ، مطبعة الاقبال في بيروت سنة ١٣٣٢ هـ)
(٢) ألف باء (١ : ٢٠٨ ، المطبعة الوهبية)
(٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٢[١٩٢٢] ص ١٤٨ ، وصف ربوة دمشق)
(٤) المشرق (م ٣٦ [١٩٣٨] ص ٤٤) ، نقلاً عن ذيل ابن قاضي شهبة ، خزانة باريس ١٥٩٨ ص ٢٤٨

٥ — مشاركة اليهود في سبتهم :

روى ابن الجوزي في ترجمة الوزير أبي شجاع الروذ رواي انّ (في زمانه أسقطت المكوس ، وألبس أهل الذّمة الغيار ، وتقدّم [الوزير] الى ابن الخرقي المحتسب أن يؤدّب كل من فتح دكانه يوم الجمعة ويغلقه يوم السبت من البزّازين وغيرهم ، وقالَ هذه مشاركة اليهود في حفظ سبتهم[١]) .

ولكن بعض المتظرّفين وأهل البطالة اتخذوا السبت[٢] يوم عطلة ولهو وخمر ، فقد حكى ابو الفرج ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٥٢ هـ ؛ رواية تُمثل بعض ما كان يجري في أيام السبوت . قال : (... وخرج الناس يلعبون في نهر عيسى وغيره بأنواع اللعب والمضحكات فرحاً بالسلامة [من الحرب] ، وكان العظاميّة والقرع والصبيان الذين كانوا يقاتلون في تلك الأيام قد اتخذوا زرديات مِن بَعر الغنم ، وسلاحاً من الفارسيّ ، وأخرجوا طبلاً وبوقاً ، ونصبوا خشباً ، وصلبوا جماعة تحت آباطهم ؛ يلعبون ويضحكون ما كان كلّ سبت[٣] . وخرج الناس يتفرّجون ويضحكون عليهم[٤]) .

٦ — الخاتمة :

لقد وصل الينا الشيء الكثير مما يتعلق بالأيام المتخذة للصلاة والعبادة ؛ فأمرها مشتهر في شتى الكتب الدينية والمدنية . أما الأيام التي كانت تعطل فيها الدواوين ، ويتخذ منها السبيل لراحة الناس ولهوهم ، والنظر في أمورهم والتشاغل بما يخصهم ، فقد أغفلت ذكرها أكثر المراجع القديمة ، اللهم بعض إشارات شعرية ، وتلميحات أدبية تناثرت أجزاؤها هنا وهناك على نحو ما مرّ بك .

(بغداد) ميخائيل عوّاد

(١) المنتظم (٩ : ٩١ ــ ٩٢)

(٢) نحيل القارئ الى مقال ممتع ، للاستاذ حبيب زيات ، بعنوان « ايام السبوت بدمشق في عهد العباسيين » ، المشرق : (٣٦ [١٩٣٨] ص ٤١ ــ ٤٦) ، وهو من جملة مباحث خزانته الشرقية .

(٣) كذا في الاصل المطبوع ، ولعلها « ما كان يُقام كل سبت »

(٤) المنتظم (١٠ : ١٧٥ ، حوادث سنة ٥٥٢ هـ)